

## ٢٥ - المصريون المحدثون

## شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم ليم

## للأستاذ عدلي طاهر نور

## تابع الفصل السادس - عاداتهم

كثيراً ما يلجأ الأب والأقارب الفقراء إلى التخلص من الطفل الذي ماتت أمه ولم يقطم عند ما لا يستطيعون الحصول على ظئله . وقد يوضع الطفل أحياناً على باب المسجد ساعة صلاة الجمعة ، فيحدث عادة أن تأخذ الشفقة بعض المصلين عند خروجه من المسجد فيحمله إلى منزله حيث ينشأ في أسرته كطفل متبنى لا رقيق . وقد يمتنى بعضهم بالطفل حتى يجد له رجلاً أو امرأة تتبناه . وقد حدث من زمن غير بعيد أن عرضت امرأة على سيدة من أسرة يعرفها صديق لي أن تبنيها طفلاً سنة بضمة أيام وجدته على باب مسجد ؛ فقبلت السيدة تربية الطفل لوجه الله رجاء أن يحفظ لها طفلها الوحيد جزاء هذا الإحسان .

في إنتاجه ولا ينتظر لها مستقبل صناعي عظيم . وتوجد بها كميات من الحديد ، ولكن جل اعتمادها في صناعاتها على ما تستورده من حديد أملاكها الآسيوية . وهي من أكبر دول العالم إنتاجاً للنحاس وقد قدمت الصناعة باليابان ولكن ما زال عدد المشتغلين بها من السكان قليلاً . وأمّ الصناعات صناعة المنسوجات القطنية والحربية والورق والخزف واللب وبناء السفن واليابان من الدول البحرية الكبيرة ولها أسطول عظيم وقد اضطر سكانها لركوب البحر لصيد السمك . ويبلغ عدد الصيادين حوالي المليون

## موازنة بين بريطانيا واليابان

يشبه كثير من الكتاب اليابان بريطانيا ويطلقون عليها The Britanir of the Pacific وهذا التشبيه صحيح من بعض وجوهه ؛ ولكن هناك أوجه كثيرة للخلاف : فاليابان أقرب إلى

ثم ناولت المرأة التي أحضرت الطفل عشرة قروش ولكنها رفضت الأجر المقدم . وهذا يبين أن الأطفال يصبحون أحياناً مجرد سلع ، ويستطيع من يشتريهم أن يحملهم عبيداً له يتصرف فيهم كما يشاء . وقد أخبرني أحد النخاسين وأكدي غير خبره هذا أن الوالدين قد ييمان الصغيرات أحياناً باعتبارهن جواري مجلوبات من بلاد أخرى ؛ وأن كثيراً من أولئك البنات سلمن إليه بإرادتهن لبيعهن ؛ وقد أتى في روعهن أنهم سينعمن بالملايس الفاخرة والترف العظيم ، وعلمن أن يقطنن إتهن أحضرن من بلادهن في سن الثالثة أو الرابعة . ولذلك يجهلن لغتهن الأصلية ، وإنما يمكنهن التكلم بالعربية فقط .

وكثيراً ما يحدث أيضاً أن الفلاح يضطره الضنك الشديد إلى وضع ابنه - مقابل مبلغ من المال - وصماً أسوأ بكثير من الرق . وذلك عند ما يطلب مجنونون من القرية فإن شيخ البلد يعمد إلى الطريق الأسهل فيجند أولاد من يقتنون وهؤلاء يستطيعون أن يخلصوا أولادهم من الجندية بأن يرضوا على الفلاحين الفقراء أن يجندوا أولادهم بدل أولادهم مقابل جنية أو جنين لكل ولد . ويفوزون بطلبهم عادة مع أنه حب النبوة سائد عند المصريين بقدر حب الأبناء لوالديهم . ويكره أغلب الوالدين مفارقة أولادهم عند ما يجندون خاصة كما يدل على ذلك الوسائل التي يعمدون إليها لمنع تجنيدهم . وقد لاحظت أبناء

خط الاستواء من بريطانيا ؛ فهي تقع في عروض البحر الأبيض . ويختلف مناخها ومناظرها ومغصولاتها عن نظيراتها بريطانيا . ويختلف الإنجليز عن اليابانيين في مظهرهم وأخلاقهم وطرق حياتهم . وتعتمد بريطانيا على الصناعة بينا اليابان ما زال أكبر اعتمادها على الزراعة . ويشك كثير من الكتاب في مقدرتها على أن تصبح دولة صناعية . فوارد الفحم بها لا يمكن أن تستمر طويلاً برغم ضآلة للمستهلك منها . وتتمتع صناعاتها الجودة والإتقان ، أما إنجلترا فواردها ومواردها أمراطورتها لا تنفذ

ويرى كثير من الكتاب أن اليابان يمكن أن تكون موضماً حسناً للقارة بإطالها لا بريطانيا ؛ فتركيهما الجغرافي وعروضهما ، وكثافة السكان بكل منهما ، واطشار الزراعة وقلة الممتلكات تجعل القارة بينهما ممكنة ، بينا لا يمكن تشبيه اليابان بريطانيا ا (بحث جية) أبو القزح وطية

ينتميان إلى قبيلتين مختلفتين . وكثيراً ما يهود النار بعد جيل أو أكثر من ارتكاب القتل ، بينما كانت الخصومة في ذلك الوقت هادئة ، وربما لم يكن يذكرها أكثر من شخص واحد هو هناك قبيلتان في الوجه البحري إحداهما (سعد) والأخرى (حرام) اشتهرتا بهنـه الحروب والخصومات الصغيرة<sup>(١)</sup> ، ولذلك يطلق اسمها عادة على أي شخصين أو فريقين عدوين . وبما يشير الدهشة أن يباح في الأيام الحاضرة مثل هذه الأعمال التي إذا ارتكبت في مدينة من مدن مصر عوقب عليها بالموت أكثر من شخص . وقد أباح القرآن النار ولكنه قيد تفنيده بالعدل والاعتدال . وتخالف هذه الخصومات حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى السلطان بسيفيهما فاقاتل والمقتول في النار » ، ويشبه الفلاحون البدو في أحوال أخرى ؛ فصد ما تخون الفلاحة زوجها يقذف بها هنا أو أخوها في النيل بعد أن يربط في عنقها حجر أو قطع لإرباكاً ويقذف ببقاياها في النهر . وقد يقاب الأبو أو الأخ المنزلاء التي تهم بمتكر . ويصبر أهل المرأة أن جريمتها تمسهم أكثر مما تمس الزوج ، وكثيراً ما يُحتقرون إذا لم يقابوها

## الفصل الثامن

### عادات المجتمع العام

يؤدي احترام المسلم لتجارة إلى اتساع دائرة معرفته بالناس على اختلاف درجاتهم اتساعاً عظيماً ؛ وينشط قانون انفصال الجنين حرية الماملات بين التجار إلى مدى بعيد ، إذ يسمح للتاجر أن يشارك غيره — بصرف النظر عن اختلاف الثروة أو الدرجة — دون خشية اقتران شخصين متفاوتين بالزواج ؛ وتتمتع النساء مثل الرجال بصفة الماملات التجارية مع الغير من جنسهن

ويتكاف المسلمون ويدققون في شمائلهم الاجتماعية إلى أقصى حد ؛ ويقوم الكثير من عاداتهم الشائنة على تعاليم الدين ، وذلك يميزهم في مجتمعاتهم من كل قوم آخرين . ومن عاداتهم تحية بعضهم

زارق الثانية لصر أنك لا تكاد تجد في أي قرية شايًا صحيح الجسم ليس بأسنانه كسر « حتى لا يمكنه أن يقرض الفسكة » أو بأصابه قمع ، أو بينيه إصابة أو عى حتى لا يجند . وتتخذ النساء المتقدمت في السن وغيرهن هذا الأمر حرفة منتظمة ، فيدون على القرى لتنفيذ هذه العمليات ؛ وقد يقوم أبوا الولد أنفسهما بهذا الأمر . ويبدو مما قيل آنفاً أن العاطفة ليست وحدها دافعاً السبب التي يدفع أهل الطفل إلى الابتغاء إلى مثل هذه الوسائل حتى لا يجرموا أطفالهم .

ولا يمكن تصور فلاحى مصر من حيث حالتهم التزلية والاجتماعية وشمائلهم صورة ملائمة . ويشبه الفلاحون على أسوأ الاعتبارات أسلافهم البدو دون أن ينموا بكثير من فضائل أهل الصحراء إلا في درجة منحلة . وكثيراً ما أحدث ما ورثوه عن أجدادهم أسوأ تأثير في حياتهم الداخلية . وقد ذكرنا من قبل أن المصريين انحدروا من عدة قبائل عربية سكنت مصر في عصور مختلفة ، وأصهروا إلى الأقباط ، وأن التمييز بين القبائل لا يزال قائماً بين سكان القرى في القطر كله . وقد انشعبت بمرور السنين سلالة كل قبيلة من التميمين إلى عدة فروع ؛ وسميت هذه القبائل الصغيرة بأسماء متميزة أطلقت على القرية أو القرى أو المركز الذى يقيمون فيه . ولم يحتفظ الذين أقاموا طويلاً في مصر بالمعادات البدوية الكثيرة ، ولم يصونوا قنوة جنسهم ، وإنما أصهروا إلى الأقباط الداخلين في دين الإسلام أو سلافهم ؛ ولذلك تحترم القبائل التي أقامت في مصر بدمهم فيسمونهم ازدهاء ( فلاحين ) بينما يحملون لأقربهم تسمية العرب أو البدو ؛ ويتزوج هؤلاء الآخرون متى شاؤوا من بنات الأولين ، ولكنهم لا يزوجون بناتهم لهم ؛ ويثأرون للدم إذا قتل شخص من قبيلة وضيفة أحدم بقتل اثنين أو ثلاثة أو أربعة ؛ وقد أشير إلى تلك الشرمة البدوية الوحشية الخاصة بثأر الدم وسيادتها بين سكان قرى مصر في فصل لاحق . فيقتل أحد أقارب القاتل من ذريته أو من سلالة الجد الأكبر لأبيه القاتل ، أو أحداً الأقرب المذكورين من ناحيته ؛ ولذلك كثيراً ما ينشب القتال بين قبيلتي القاتل والقاتل ، وقد يستمر أو يتجدد كل حين عدة سنين . وكثيراً ما يكون الأمر كذلك نتيجة إهانة يسيرة بين شخصين

(١) مثل قبليتي ( قيس ) و ( يمن ) في سوريا

احترامه لمن سما مركزه بإحشاء اليد إلى أسفل ثم رفعها إلى شفتيه وجهته دون أن ينطق بالسلام . ومن العادات الشائعة أيضاً أن يقبل الرجل يد العظيم ، ظهرها وحده أو ظهرها وباطنها أحياناً ، ثم يضعها على جبهته لاطهار احترامه الخاص . إلا أن العظيم لا يسمح بذلك في أغلب الأحوال ، وإنما يمس اليد التي تمد إليه فيضع المحي حينئذ يده على شفتيه وجهته فقط . وقبل التمدن دلالة على الخضوع والمثلة لالتماس الصفر عن ذنب أو للشفاعة لشخص آخر ، أو لطلب إحسان من عظيم . وقبل الولد يد أبيه والزوجة يد زوجها والعبد والخادم الحر غالباً يد السيد . وقبل أرقاء العظيم وخدمه كم ملابسه أو طرفها

وعند ما يحيي الأصدقاء الخواص بعضهم بعضاً يتصافون باليمنى ، ثم يقبل كل منهم يده أو يضعها على شفتيه وجهته أو يرفعها إلى جبهته فقط أو يضعها على صدره دون أن يقبلها . ويتعاقبون بعد الغياب الطويل وفي بعض المناسبات الأخرى . فيقبل كل منهم الآخر على التاحيتين اليمنى واليسرى . وهناك طريقة أخرى للتحية شائعة الاستعمال بين الطبقات الغنيا . فعندما يتقابل صديقان بعد سفر يتصافحان ويهني كل منهما الآخر على سلامته ويتمنى له المناعة والرفاهية مرهناً عبارتي : « سلامات » و « طيبين » على التماق ومراراً . وعند ما يبذل هذه التحية التي تدوم وقتاً ، وقبل أن يأخذ في الحديث يتصافحان كالعادة المتبعة عندنا ، ويضربان وضع اليد كلما يلفظان العبارتين السابقتين فيدير كل منهما أصبعه على إبهام الآخر عندما يردد العبارة الثانية ويعود إلى الوضع عند العبارة الأولى

( يتبع )

عبدك طاهر نور

بعضاً بقولهم : « السلام عليكم »<sup>(١)</sup> فيرد من يحيونه بقوله : « عليكم السلام ورحمة الله وبركاته »<sup>(٢)</sup> . ولا يوجه المسلم هذا السلام إلى من يخلفه في الدين<sup>(٣)</sup> ولا بالعكس<sup>(٤)</sup> ؛ ويجب على المسلم أن يحيي المسلم بهذه التحية ، إلا أن إهمال هذا الواجب لا حرج فيه . ويجب رد التحية على الإطلاق ؛ فالتحية (سنة) وردها (فرض) . وقد يحيي المسلم مع ذلك خطأ من يخلفه في الدين ، وليس على هذا أن يرد التحية . وينقض المسلم تحيته عند ما يتبين خطأه بقوله : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ؛ وكذلك يفعل أحياناً إذا حيا مسلماً ورفض أن يرد السلام

وأهم آداب السلام كما أملاها الرسول (ص) وكما يتبعها المصريون المحدثون ما يأتي : يبدأ الراكب بالسلام على الراجل ، والمابر على الجالسين قلوا أو كثروا ، والفئة القليلة أو أحدهم على الفئة الكثيرة ، والصغير على الكبير<sup>(٥)</sup> ، ولما كان يكفي أن يوجه السلام واحد من الجماعة فكذلك يكفي أن يرد واحد . ويجب على المسلم أيضاً أن يحيي أهل المنزل عند دخوله وخروجه ؛ ويجب دائماً أن يبدأ بالتحية ثم يتحدث . وللآداب السابقة بنص الشواذ فلا يلزم مثلاً في المدينة المزدحمة تحية أكثر هؤلاء الذين قد يمر بهم الإنسان ولا في الطريق حيث يقابل المرء عدة عابرين . إلا أن العادة جرت على أن يحيي الرجل الموسر أو الحسن الهندام أو الشيخ المحترم أو أي شخص رجه من يبدو أنه رفيع المكاة أو عظيم الثروة أو من رجال العلم ولو كان الطريق حافلاً . وعادة المهديين أن يضع من يسلم أو من يرد السلام يده اليمنى على صدره أو يمس شفتيه ثم جبهته أو عمامته ويسمى ذلك (تيمينه) . وتؤدي التيمينة الأخيرة ، وهي أكثر احتراماً ، لمن علا قدره لا مع السلام فحسب ، ولكن أثناء الحديث أيضاً وبدون سلام حينئذ

ولا يؤدي من كان من الطبقة الدنيا السلام إلى العظيم دائماً وعلى الأخص إذا كان تركياً ، وإنما يكفي بأداء التيمينة . ويظهر

(١) أو « سلام عليكم »

(٢) أو « عليكم السلام » فقط . ولكن العبارة الطويلة تتمثل عادة تبعاً لأمر القرآن (سورة النساء آية ٨٦)

(٣) ولما فعل ذلك سلمو مصر

(٤) ومع ذلك يرد المسلم أحياناً بعبارة « عليكم » عند ما يحييه غير المسلم هذه التحية

(٥) وقد ذكر هيرودوتس احترام المصريين للسنين كما أشار إلى تحياتهم

المهذبة (الكتاب الثاني ص ٨٠)

## إدارة البلديات — مياه

تقبل العطاءات بإدارة البلديات  
(بوسنة قصر الدوبارة) لغاية ظهر  
٢٢ مارس ١٩٤٢ عن توريد عدادات  
وأدوات مياه لمجالس قلوب والقناطر  
الخيرية وشيين القناطر وطوخ . وتطلب  
الشروط من الإدارة نظير ٢٠٠ مليم